أثر وسائل الإعلام في نشر الآفات الاجتماعية

رصد وتحليل ومعالجة

الدكتور: يوسف عبد اللاوي

جامعة الوادي

الملخص باللغة العربية

لقد اتخذت الآفات الاجتماعية مسارات خطيرة تهدد المجتمع في أمنه واستقراره بل وفي وجوده أصلا . ووسائل الإعلام وإن لم تكن هي السبب الوحيد في وجود هذه الآفات،ولكنها صارت اليوم السبب الأكبر في نشرها وتشجيعها.

وليس الحل كما يعتقد البعض في الهروب من الواقع،أو تسويق فتاوى حرمة اقتناء أجهزة التلفزيون أو الفيديو أو مشاهدة الفضائيات،ولا في تحريم التعاطي مع شبكة الإنترنيت أو عدم جواز التعامل مع وسائل الإعلام عموما خوفا على المنظومة القيمية والأخلاقية للمجتمع،بل الحل يكمن في تطوير وسائلنا الدفاعية باستخدام نفس الوسائل واستثمارها لخدمة أهدافنا ولتحصين أجيالنا بل وللتعريف برسالتنا الحضارية للعالمين.

Résumé

J'ai pris des cours de sérieux malaises sociaux de la société de menacer la sécurité et la stabilité et même son existence.

Et les médias si elles n'étaient pas la seule raison de la présence de ces parasites, mais aujourd'hui, est devenu la principale cause de la diffusion et la promotion.

La solution n'est pas comme certains pensent, à fuir la réalité ou la commercialisation de la sainteté de l'acquisition d'opinions séries de télévision,ou vidéo, ou regarder la télévision par satellite, et l'interdiction de traiter avec l'Internet, ou ne pas être traiter avec les médias dans la peur générale sur le système de valeurs et les valeurs éthiques de la société, mais la solution réside dans le développement et par notre défense en utilisant les mêmes moyens et d'investir dans le service et pour fortifier nos objectifs et même à notre définition de la civilisation pour l'univers.

مقدمة

ما من شك في أن هذه الثورة الإعلامية الهائلة في عالم اليوم، لا تدع مجالا للتردد في أننا نعيش في زمن لم يعد فيه للحدود الجغرافية أي معنى، ولا للمسافات القريبة والبعيدة أي تمايز، ولا للخصوصية المجتمعية أي قيمة واعتبار،وصار الجميع منصهرا في بوتقة العولمة التي يراد لنا فيها . شئنا أم أبينا . أن نصاب بداء فقدان المناعة فنستقبل كل ما يفد إلينا دون قدرة على الدفاع أو الرد .

يقول الدكتور محمد عبيد حسنة : (وقد لا نغالي إذا قلنا بأننا نعيش اليوم مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة التي ألغت الحدود ، وأزالت السدود واختزلت المسافات والأزمان واختصرت التاريخ واختزلت الجغرافيا، حتى بات الإنسان يرى العالم ويسمعه من مقعده ولم يقتصر الأمر على اختراق الحدود السياسية والسدود الأمنية ، وإنما يتجاوزه إلى إلغاء الحدود الثقافية ويتدخل في الخصائص النفسية، وتشكيل القطاعات العقدية فيعيد بناءها وفق الخطط المرسومة لصاحب الخطاب الأكثر تأثيرا،والبيان الأكثر سحرا والتحكّم الأكثر تقنيّة)[1].

ولا شك أنّ هذه الثورة الإعلامية الهائلة لا يمكن أن يتجاهل دورها أو تنكر أهميتها أو ألا نستشعر ضرورتها، فيكفي أن نعرف بأن نصيب الدعم الإعلامي في كثير من الدول اليوم يفوق الدعم الغذائي ، الذي به قوام الحياة ، ولئن كان الإعلام في الماضي يوظف ليكون أداة ترفيه وترويح وتسلية ، يعيش على هوامش المجتمع وفي خارجه فإنه اليوم في صميم المجتمع يوظف الترفيه والتسلية لأداء رسالة ، وإيصال فكرة ،وتشكيل عقل ، وصناعة ذوق عام،وزراعة اهتمامات معينة ، حتى أنه لم يعد يكتفي برصد الحدث وإيصال المعلومة،بل أصبح . بما يمتلك من قوة وعوامل تأثير وحفظ وتحكم . يقوم بصنع الحدث والتحضير له في الوقت نفسه[2]

وتشكل وسائل الإعلام الأداة الأساسية التي تروّج لما يسمّى بنظام العولمة التي حولت العالم إلى "قرية كونية" على حد تعبير عالم الاتصالات الكندي مارشال ماك لوهان.

هذه القرية يتحكم فيها أصحاب القوة والنفوذ المال والتكنولوجيا وأقصد بذلك الغرب (أمريكا وأوروبا تحديدا).وصارت لدينا قناعة لا جدال فيها بأنّهم حوّلوا هذه الوسائل إلى استعمار لكنّه من نوع جديد لا يحتل الحقول ولكنه يستحوذ على العقول ليشكّلها على وفق النمط الغربي الذي لا يكترث بمواريث السماء ولا يقيم للشرف والفضيلة وزنا ولا قيمة.

ولقد أعجبتني كلمة قالها الأستاذ فهمي هويدي معلّقا على دخول البثّ المباشر لتونس تؤكد ما كنت أقوله (خرج الاستعمار الفرنسي من شوارع تونس عام 1956 ولكنه رجع إليها عام 1989، لم يرجع إلى الأسواق فقط ولكنه رجع يشاركنا السكن في بيوتنا والخلوة في غرفنا والمبيت في أسرّة نومنا،رجع ليقضي على الدين واللغة والأخلاق،كان يقيم بيننا بالكره،ولكنه رجع لنستقبله بالحب والترحاب،كنا ننظر إليه فنمقته أما الآن فنتلذّذ بمشاهدته والجلوس معه،إنه الاستعمار الجديد لا كاستعمار الأرض وإنما استعمار القلوب)[3] ولا شك أن وسائل بمثل هذا التأثير و الجاذبية إذا كانت بأيد لا تريد الخير للبشرية وبشكل خاص لأمة الإسلام، فإنها ستخلف أضرارا جسيمة على مستوى البنية الاجتماعية.

وها نحن اليوم نرى آفات استشرت فأتت على الأخضر واليابس، لم تكن معروفة في مجتمعنا قبل هذه الثورة الإعلامية .

وهذه الورقات جاءت لتكشف عن هذه الآفات وحجم أضرارها ودور وسائل الإعلام في نشرها وتشجيعها ووسائل مقاومتها.

ماذا نقصد بوسائل الإعلام؟:

الإعلام وسائل تعينه على تحقيق معناه في المجتمع تسمى وسائط أو أجهزة تؤدي دورها في إعلام الجمهور،وأبرز هذه الوسائل .

أ . الوسائل السمعية: ونقصد بها الإذاعة تحديدا، فهي تعتبر وسيط إعلامي واسع الانتشار،لما تحمله من صفات التكنولوجيا العلمية المتطوّرة وقدرتها على مخاطبة جميع المستويات والفئات.

ب . الوسائل البصرية: سميت بهذه التسمية لاعتمادها على حاسة البصر ،فهي وسيط إعلامي يرتبط بهذه الحاسة الهامة في حياة الإنسان، وكل شيء ارتبط بهذه الحاسة يكون سهل الإدراك والفهم.وتدخل القراءة والمشاهدة في باب الوسائل البصرية،كالصحيفة والمجلة والكتاب والمطبوعات الأخرى كالنشرات والخرائط والصور والرسومات.

ج . الوسائل السمعية البصرية: وسميت بهذه التسمية لارتباطها بحاستي السمع والبصر في وقت واحد.وهذه الوسائل هي الأكثر تأثيرا وأبلغها وضوحا في الإعلام.وتشمل هذه الوسائل:التلفزيون والسينما والمسرح والأفلام التسجيلية والوثائقية...الخ[4].

"وتتضح أهمية ذلك إذا ماعرفنا أن الإنسان يحصل على معلوماته بنسبة 90 %عن طريق النظر،وبنسبة 8%عن طريق السمع، وإن العين تجذبها الحركة أكثر من أي شيء آخر"[5]

أهميتها:

أهمية هذه الوسائل تنبع من الدور المنوط بها والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها ومن ذلك.

ـ الإرشاد والتوجيه وبيان المواقف والاتجاهات للتأثير على الرأي العام ودفعهم باتجاه أفكار وقناعات ومواقف، ليس بالضرورة أن تكون إيجابية وهذا يتوقف على نوعية المادة الإعلامية الموجهة للاستهلاك وحجم التأثير الذي فيها، وكذلك على الشخص المتلقي بين سهولة تغيير مواقفه وقناعاته وصلابته في ذلك.

. التثقيف:الذي يطرق شتى مناحي الحياة والذي يتماشى مع مختلف المستويات من الفلاح والمزارع إلى الطالب إلى الأستاذ إلى المرأة كمربية إلى العامل في مكان عمله إلى الطفل، وتشترك في إيصال هكذا رسائل، مختلف وسائل الإعلام من الكتاب إلى الندوة والمحاضرة إلى البرامج الإذاعية، والتحقيقات الصحفية إلى الأفلام التوثيقية والتسجيلية إلى أشرطة الفيديو والملصقات والرسومات والصور...الخ

ـ تنمية العلاقات الاجتماعية: تقوم وسائل الإعلام المختلفة بدور الرابط الاجتماعي بين الناس، وتعميق الصلات الاجتماعية بينهم للوصول على هدف تنميتها بشكل مستمر، فتنقل أخبار أفراحهم وأتراحهم،وتنقل تهانيهم في المناسبات وتفتح باب التعارف ومد الجسور وتوثق صلاتهم بأعلامهم من العلماء والمصلحين والمبدعين في شتى المجالات.

ـ الإعلانات والدعايات: التي تعمل للترويج لشتى السلع والمنتجات والابتكارات والخدمات وفي ذلك فائدة مادية لأصحابها لسرعة الترويج لمنتجاتهم وكذا فائدة للمستهلكين للوصول إلى حاجياتهم عن طريق اختيار ما يناسب أذواقهم وإمكانياتهم، وكذا فائدة للوسيلة الإعلامية المستخدمة في هذا الترويح.

. التسلية والترفيه: الذي يعمل على تجديد الحيوية والنّشاط.

. التربية والتعليم: فالإذاعة والتلفزيون والصّحيفة يمكن أن يشكّل داعما أساسيا بمختلف أطوارها بما في ذلك الجامعة[6] .

أثر وسائل الإعلام في نشر الآفات الاجتماعية :

إن هذه الأهداف النبيلة لهذه الوسائل كثيرا ما تصاغ في قوالب لا تتناسب مع ثقافة مجتمعنا وعاداته وتتصادم مقررات شريعتنا،وإذا أضفنا إلى ذلك البرامج الموجهة أصلا للترويج لما يهدم الأخلاق القيم عبر الصحيفة والإذاعة والتلفزيون....الخ فإن الأمر ينذر بخطر شديد على واقع المجتمع وتماسكه، ولقد أثبتت الدراسات علاقة وسائل الإعلام بانتشار الجريمة بشتى ألوانها. يقول الدكتور عمر عسوس :(على الرغم من أن الجريمة والانحراف يعتبران ظاهرتين معقدتين لهما علاقة بالتكوين النفسي والاجتماعي والعقلي والثقافي للفرد،إلا أن الكثير من الدراسات والبحوث الميدانية أثبتت أن وسائل الاتصال كذلك تلعب دورا مهما في حدوثها .فقد أجريت أكثر من ثلاثة آلاف دراسة لقياس أثر وسائل الاتصال على تكوين السلوك العدواني ضد الأشخاص والأعمال الإجرامية والانحرافية ضد الأشخاص والأفعال اللااجتماعية.فعلى الرغم من استمرار الجدل حول أثرها،فإن معظم الآراء تجمع على وجود علاقة بين مشاهدة التلفزيون كوسيلة اتصال والسلوك العدواني) [7].

وها نحن نلمس الآثار المدمّرة للاستعمال غير الرشيد لهذه الوسائل من خلال ما نعايشه من آفات خطيرة استشرت في مجتمعنا وتطاير شررها ليصل إلى كل بيت تقريبا. وسنقف بإذن الله على جملة من هذه الآفات للرصد والتحليل والمعالجة.

أولا: العنف والإجرام:

وهذه الآفة مرتبطة أساسا بالتلفزيون وما يعرضه من مشاهد تدخل في هذا الإطار .ولذا يؤكد علماء النفس والاجتماع على أن هناك علاقة ارتباط بين ازدياد جرائم العنف وازدياد البرامج المليئة بالسلوك الإجرامي وأعمال العنف ،يقول الدكتور "براين ولسون" وهو عالم اجتماع:(إن التليفزيون دائما يضخم مجال وتكرار الجريمة،ويركز على الحوادث العنيفة واستعمال القوة في حل الأمور،ويشجع هؤلاء الأفراد الذين لديهم الطاقة الكامنة بالاندفاع تجاه الجريمة والانحراف بالمضي في تيار الشذوذ والانغماس في حوادث الإجرام والانتقام لكي يشبعوا غرائزهم وشهواتهم اللااجتماعية واللاأخلاقية) [8]. وكان من نتيجة ذلك كما تقول الدكتورة منى يكن:(تكونت داخل مجتمعنا عصابات تقلد أبطال الروايات المعروفة،تتفاهم بالسلاح وتتخاطب بالقذائف وتتخاطر على البعد بالأساليب البوليسية في التجسس..كل ذلك بعد أن أصبحت أجهزة التليفزيون مدرسة في الإجرام لا يوجد ما هو أوسع منها انتشارا ولا أفظع منها للأخلاق تدميرا) [9]

وقد أثبتت التحقيقات في الولايات المتحدة الأمريكية إلى ألمانيا ومن بريطانيا إلى مصر ثم إلى إسبانيا في أعقاب عدد من حوادث القتل في قطارات الأنفاق،واستخدام الأسلحة الرشاشة ومهاجمة العجائز في منازلهن بغية الحصول على مصاغهن أو مدخراتهن،أن هذه الجرائم قد ارتكبت بعد أن شاهد أصحابها أفلاما قريبة جدا منها،بل إن تلك الجرائم جاءت نتيجة لمشاهدة تلك الأفلام ومحاولة تطبيقها في الواقع،وذلك كما جاء في اعترافات أولئك المنحرفين الذين اقترفوها[10].

ومن ذلك ما حدث في مصر عندما قتلت فتاة بالعتبة،حيث ذكر المتهم الأول بأنه كان تحت تأثير فيلم فيديو شاهده قبل ارتكاب جريمته[11].

ورؤية هذه المشاهد تزداد خطورتها في مرحلة الطفولة ،فمن كان من الأطفال لديه استعداد وميل مسبق للعنف، تزيده هذه المشاهد الإجرامية عنفا وإجراما .وتلفت نظر الذي ليس لديه استعداد أو ميل وتحاول أن تدفعه للتجربة والمحاكاة، وهناك دراسة قام بها الدكتور وليام بيلسون أستاذ العلوم الاجتماعية البريطاني لمعرفة العلاقة بين مشاهدة الأطفال للعنف في التليفزيون وبين اكتساب صيغة العنف في حياتهم العملية،خلصت نتائجها إلى أن الصغار الذين يشاهدون الكثير من مشاهد العنف في التليفزيون يتم سلوكهم بالعنف بدرجة تزيد مرتين على أولئك الذين لا يشاهدون إلا القليل من هذه البرامج،وأن هناك برامج تليفزيونية تتسبب في انتشار العنف مثل أفلام رعاة البقر ومباريات الملاكمة والمصارعة والأفلام البوليسية وقد أثبتت الإحصاءات أن39% من الأحداث المنحرفين في إسبانيا قد تلقوا معلوماتهم من الأفلام السينمائية والتليفزيونية[12]

ولعل ما سبق يشير إلى صحة أحد الإحصاءات الأمريكية من أن معدل ما يشاهده الطفل الأمريكي بين سن الخامسة والرابعة عشرة من عمره يزيد على ثلاثة عشر ألف جريمة قتل يراها على شاشة التليفزيون ولعل هذا ما دفع الرئيس الأمريكي . الأسبق . بيل كلينتون إلى المطالبة بضرورة الحد من مشاهدة الإثارة والعنف في الشبكات الأمريكية[13]

كما صرح الرئيس الأمريكي الأسبق جون كيندي بأن الجريمة قد زادت بسبب التليفزيون وأن مكافحة انحراف الأحداث تكلف بلاده خمسة بلايين دولار سنويا[14].

وزاد الاهتمام بهذه القضية عقب مقتل جون كيندي عام 1963 وخصصت الحكومة الأمريكية . آنذاك . مليون دولار لدراسة قضية العنف على شاشات التليفزيون تحت عنوان مشروع بحثي كبير:دراسة كبير الأطباء عن التليفزيون والسلوك الاجتماعي الذي انتهى إلى الإشارة إلى وجود التقاء بين البحوث العلمية التجريبية والميدانية بقيام علاقة سببية للعدوان على المدى القصير بين بعض الأطفال لمشاهدتهم العنف على الشاشة[15].

ومن النتائج التي توصلت لها إحدى الدراسات التحليلية أن التليفزيون بما يعرضه من أفلام سينمائية تحتوي على مناظر إجرامية أو انحلالية قد يؤدي إلى انحراف كثير من النشء عن طريق ما تخلقه من خيالات يعيشها.

كما تبين من مجموعة ذكور منحرفين قد تناولتهم تلك الدراسة أن أحد الأفلام التي عرضها التليفزيون قد أثارت فيهم الرغبة في حمل السلاح وعلمتهم كيفية ارتكاب السرقات وتضليل البوليس ،وتشجيعهم على المخاطرة بارتكاب الجرائم[16]

وفي هذا الصدد قضى الطبيب albert bandura أكثر من عشر سنوات قي دراسة أثر وسائل الاتصال على الأطفال والكبار في ظروف مختلفة، حيث توصل هذا الأخير إلى نتيجة التي مفادها أن هذه الوسائل هي طرائق قوية للتعليم ومصادر مهمة للتأثير عندما بيّنت هذه الدراسات بأن المشاهد العنيفة عبر الشاشة، تحفّز ظهور السلوكات العنيفة وأشار bandura وشركاؤه بأن البحوث التي درست أثر مشاهدة العنف عن طريق المحاكاة لمشاهد عنيفة أكّدت بأنه على خلاف عملية التّعلم بالمحاولات والخطى البطيئة نسبيا، فإن الأطفال يميلون أكثر إلى تعلّم السلوكات العنيفة بسرعة وبكميات أكبر في بعض الحالات عن طريق تعرضهم للمشاهد العدوانية العنيفة التي يشاهدون حدوثها مباشرة من خلال محاكاتها من قبل الكبار على مرأى منهم[17].

وقد أظهرت دراسة حديثة أن الطفل الأمريكي يقضي أمام التلفيزيون وقت أطول من الذي يقضيه أمام سبورة المدرسة وأنه يتعلم من التليفزيون العنف والتحزبات العرقية والجنسية.

وقالت الرابطة الأمريكية لعلم النفس في تقرير لها حول تأثير التليفزيون على المجتمع الأمريكي أن الطفل الأمريكي يرى في التليفزيون ثمانية آلاف جريمة ومائة ألف نموذج من أعمال العنف خلال فترة دراسته الابتدائية واستند التقرير إلى دراسة قام بها ستة من أطباء علم النفس على مدى خمس سنوات أظهرت أن التليفزيون يحطّ من شأن السود وشأن المرأة وأنه يؤثر على الأطفال والمراهقين ويدفعهم إلى حسم الصراعات عن طريق استخدام العنف ويجعلهم أكثر تقبلا للعنف الجنسي[18].

وفي الجزائر أكد تقرير مصلحة الشرطة بولاية الجلفة أن طفلا يبلغ من العمر خمس سنوات انتحر بواسطة حبل وأن والد الضحية صرح للجهة القضائية بأن ولده قد شاهد قبل يوم من انتحاره فيلما من نوع الوسترن احتوى على نفس لقطات الانتحار التي قام بها الضحية على نفسه[19].

ومن الجدير بالذكر أن هناك دراسات قام بها المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين وغيره من الجهات المتخصصة قد أظهرت أن عددا كبيرا من البرامج الأجنبية التي يتم عرضها في أجهزة التليفزيون العربي لا تخلو من مشاهد العنف والجريمة والإدمان على المخدرات والجنس،وأن كثيرا منها يحتوي على قيم وممارسات مغايرة للعادات والقيم الإسلامية ومن ثم فإن لهذه المضامين تأثيرات ضارة على النشء بوجه خاص[20].

ويؤكد الدكتور عبد الله بوجلال هذه الحقيقة بعد عرضه لعدد من الدراسات الميدانية التي أجريت في عدد من دول أمريكا اللاتينية لقياس مدى تأثر الأطفال بمحتوى المنتوج الإعلامي الأجنبي فيقول:(وتشير هذه نتائج هذه الدراسات الميدانية إلى قوة تأثير البرامج و المواد الإعلامية التليفزيونية الأجنبية على الأفراد والشباب والأطفال منهم بصفة خاصة ويتضاعف هذا التأثير على الصغار، لدرجة تجعلهم يتذكّرون أحداث ووقائع المسلسلات الأجنبية ذات المضمون السيء ويلمّون بمحتواها ويعرفون أبطالها ورموزها، وفي مقابل ذلك يجهلون معظم المقرّرات الدراسية المتعلقة بتاريخ بلادهم ويجهلون رموزها الوطنية وأبطالها التاريخيين، وهذا ما يعمل على

تزييف وعي هؤلاء الصغار بقضايا مجتمعهم وتاريخه وواقعه السياسي والثقافي والاجتماعي ويدفعهم إلى اتباع سلوكات سلبية تحتوي عليها البرامج التليفزيونية الأجنبية أو المحلية المشابهة لها مثل الفردية والخروج على القانون وارتكاب الجريمة والعنف والتدمير وغيرها) [21].

وفي دراسة ميدانية أجريت على عدد من أطفال دولة قطر، وكان عنوان هذه الدراسة:"أثر برامج التليفزيون في السلوك العدواني عند الأطفال" فجاءت النتائج فيمن يعانون من السلوك العدواني لفظيا كان أو جسميا كالتالي:

6% بدرجة كبيرة جدا.

33%بدرجة كبيرة.

51%بدرجة معتدلة. [22]

وقام محمد الجيوشي وفوزية بدوي عام 1990 بدراسة تحليلية لأفلام الرسوم المتحركة لتعرف تأثير هذه الأفلام على الأطفال.

وتوصلت الدراسة إلى أن مسلسل "توم وجيري" يعتمد على فكرة العداء الفطري ويحوي مكائد ومغامرات تعتمد على الخيال، وقد وصفته إحدى المجلات في الولايات المتحدة الأمريكية ،بأنه عنيف جدا.أما مسلسل"جونجر" فيثير في الطفل مشاعر القلق ويعزز السلوك العدواني،ويسبب هياجا حركيا للأطفال، وبالنسبة إلى مسلسل"غراندیزر" فإن مشاهدته،تسبب هياجا حركيا للطفل،ويعزز سمات العدوانية، أما باقي المسلسلات، فهي تعزز مشاعر العنف، وأنه لاسبيل لحل المشكلات إلا بالعدوان، ومثال ذلك مسلسل"الرجل الحديدي"[23].

وفي دراسة أخرى أجرتها منال أبو الحسن بعنوان"الرسوم المتحركة بالتليفزيون وعلاقتها بالجوانب المعرفية لدى الطفل" وفي عينة من هذه الدراسة تم اختيار ثلاث حلقات من مسلسل الأطفال "البوكيمون" عشوائيا، وتم تحليل مضمونها حسب الفئات العمرية التي وضعتها الباحثة . والدراسة أجريت على عينة من أطفال قطر أيضا . وبعد عرضها لبعض القيم الإيجابية في هذا المسلسل، خلصت إلى القول بطغيان الجانب السلبي على الإيجابي، ومما قالته في هذا المجال:(يلاحظ أن الحلقات الثلاثة المختارة عشوائيا من مسلسل البوكيمون، قد سيطر عليه العنف بدرجة كبيرة،إذ حفلت كل المشاهد تقريبا بمواقف العنف والصراع والاستقتال المميت، وقد لاحظت أن النظرية الميكافيللية كانت سائدة في التعامل لدى شخصيات المسلسل فالغاية لديهم تبرر الوسيلة، لأنهم في سبيل الوصول إلى الهدف يعاركون ويتصارعون، في مشاهد لا يخفى على الشخص البالغ ولا حتى الطفل أثرها على السلوك،بحيث تشجع على انتهاج أسلوب العنف كوسيلة للحصول على الهدف، إلى الدرجة التي جعلت الأطفال يقلدون سلوك البوكيمونات، بل إلى الدرجة التي جعلت تذكر الأطفال لمواقف سابقة من المسلسل تنصب على تلك المشاهد،وهذا يؤكد تأكيدا بالغا القيم المقلوبة التي حرص مسلسل البوكيمون على تشكيلها لدى الطفل بأسلوب إعلامي،اهتم بالجذب والإثارة والحركة التي تشد انتباه الطفل لا محالة، حتى تصور الأطفال أن العنف هو الذي يوصل إلى بر الأمان، وأن الإنسان الشجاع هو الإنسان العنيف الذي يضرب ولا يُهزم.....ـ وتواصل الباحثة كلامها إلى أن تقول . ولعل ذلك ما لاحظته في مسلسل البوكيمون وإجابات التلاميذ و التلميذات حوله

فكان العنف مسلكا لهم، حيث أن بعض التلاميذ قد استخدم عود الثقاب واضعا إياه في فمه تقليدا لشخصية "تشارمندر" . من البوكيمونات النارية في المسلسل . .كما أن بعض التلميذات ذكرن أنهن يصعدن على الطاولة ليقفزن من أعلاها تقليدا لـ "بيدجيوتو")[24].

هذا ناهيك عن سلبيات أخرى لهذا المسلسل تتنافى مع قيمنا الدينية والاجتماعية كما ذكرتها الباحثة[25].

وفي دراسة ميدانية مهمة جدا أجراها الدكتور نصير بوعلي[26]، والتي عالج من خلالها أثر البث التليفزيوني الفضائي المباشر على الشباب الجزائري ،وذلك من خلال اتخاذ مدينتيْ قسنطينة وأم البواقي نموذجا للدراسة ، ومن خلال اختيار عينة من 500 مبحوث (250 لكل منطقة).وفي النقطة المتعلقة بعلاقة الفضائيات بالأنساق القيمية وهوية المتلقي الثقافية وتحديدا في الشق المتعلق بالآثار الاجتماعية والسلوكيات السلبية، كانت النتائج كالتالي[27]:

. نمو ظاهرة التقليد الأعمى 73.2%.

. زيادة العنف 69%.

. إثارة الغرائز 65%.

. تعمل على زرع عادات وتقاليد دخيلة 59.6%.

. تساعد على ارتكاب الجريمة 42.6%.

. تساعد على تفكك قيم المجتمع 42%.

والذي يهمنا فيما نعالجه في مطلبنا هذا، هو أثر التليفزيون في نشر العنف والجريمة والملاحظ أن نسب كل منهما كانت عالية 69% و42.6% على التوالي،ويمكن سحب نتائج هذه العينة المبحوثة على كامل مناطق القطر الجزائري تقريبا بحكم تشابه أنماط العيش والتفكير عندنا مع تفاوت بسيط بين منطقة وأخرى، وهذا مؤشر خطير على ما وصلت إليه الأوضاع عندنا في الجزائر، وما يمكن للتليفزيون أن يحدثه على مستوى المنظومة القيمية والأخلاقية عندنا.

ولعل هذا ماحدا بالبعض لإطلاق لقب جامعة الجريمة على التليفزيون أو كما يصفه أحد الأطباء النفسيين بجامعة كولومبيا، بأنه إذا كان السجن بالنسبة للمراهقين هو كلية يتعلمون فيها الجريمة، فإن التليفزيون هو المدرسة الإعدادية للانحراف[28].

وما يؤكد صحة هذه النظرية زيادة على ما ذكرناه،هو ما جاء في دراسة أخرى مشهورة قام بها bradon centerwall الأستاذ بجامعة واشنطن،حيث توصل الباحث إلى نتيجة مفادها أنه لو لم يكن هناك تليفزيون لكان معدل الجريمة في أمريكا أقل من ما هو عليه الآن بمقدار10000 جريمة قتل كل سنة،ومعدل الإغتصاب أقل مما هو عليه بـ 70000،ومعدل الاعتداء المؤدي إلى الجروح أقل مما هو عليه بـ 700000 اعتداء،ومعدل الجريمة بصفة عامة ينخفض إلى النصف مما هو عليه الآن[29].

كما تلعب ألعاب الفيديو الإلكترونية الموجهة للأطفال دورا مهما في نشر العنف والإجرام بحكم أن كثيرا من هذه الألعاب تعتمد على طرق عنيفة جدا.

ويعتقد بعض علماء النفس أن اللاعب المعتاد على ألعاب الفيديو يمكن أن يدفع إلى ممارسة العنف في الحياة العملية ،ويقول everett. Koop وهو كبير أطباء الجيش الأمريكي(سابقا):أنه لا يوجد شيء بنّاء في ألعاب الفيديو،فكل شيء في هذه الألعاب لا يعدو سوى أن يكون أوامر وتعليمات بالضرب والقتل والتخلص من الخصم ، ويميل عالم النفس الاجتماعي zimbardo إلى نفس الرأي فيقول أن لاعب الفيديو محاط دائما بجو متوتر، يصيح به صوت، أن اضرب،أقتل،احرق ، دمّر ، بدلا من تفاوض، تعاون، افعل شيئا من أجل الآخرين .إن كل ألعاب الفيديو تميل إلى تغذية العضلات بالقوة والتدمير[30].

والخطورة تتمثل في أن أكثر الألعاب انتشارا تتطلب من الطفل أو اللاعب عامة القيام بأعمال تتّسم بالعنف والخطورة[31].

وما يقال عن ألعاب الفيديو يقال أيضا عن نظيرتها عبر شبكة الإنترنيت، ففي دراسة ميدانية حديثة حول استعمال الإنترنيت في الجزائر وفي الشق المتعلق بمواقع الترفيه تقول الدراسة:(قد تبدو للملاحظ في الوهلة الأولى أنها مواقع ترفيهية هدفها التسلية والترويح عن النفس،لكن المتصفح لأخطارها يرى فيها قنبلة موقوتة وفيروسا ينخر فئة كبيرة من الجزائريين،حيث تقدر نسبة من يتصفحون هذه المواقع بـ51.64%،ولا تتضمن هذه النسبة الزائرين الزوار فحسب،ولكن بالمدنين عليها خصوصا الفئة العمرية ما بين 10و17سنة،حيث بلغت النسبة71.71% مقابل 68.47% ممن تتراوح أعمارهم ما بين18و25 سنة،أما عن المستوى التعليمي فالنتائج جد متقاربة بين كل المستويات أعلاها المستوى الثانوي بـ67% تليها المستوى المتوسط63.75%،والمتصفح لهذه المواقع حسب نتائج الدراسة،لا يرى فيها سوى مواضيع العنف والحرب والدماء والقوة.

ونفسيا فإن هذه المواقع تزيد من إفرازات العدوانية والكراهية والعنف ،خصوصا وأن الأطفال في الجزائر تحولوا من الألعاب البريئة إلى التشبه والتمثل بشخصيات كارتونية غريبة، بعيدة كل البعد عن سنهم ومستواهم الفكري والعقلي، مما جعلها تفسد الحس الروحي للطفل وحوّلته إلى آلة للحرب مستعدة للتخريب والعنف.والخطر ليس اللعب في حد ذاته،ولكن في الإدمان عليه،مما دفع بالأطفال للتوجه مباشرة من المدرسة والثانوية إلى فضاء الانترنيت للعب الجماعي مكوّنين عصابات وهمية ضد مجموعات أخرى) [32].

ثانيا: التدخين والخمر والمخدرات

ففيما يتعلق بالتدخين فنستطيع أن نقول دون أدنى مواربة أن جميع وسائل الإعلام العربية والغربية وتحديدا التليفزيون يعمل على تشجيع ونشر هذه الآفة لا بتعداد محاسنها وإنما بارتباطها بأبطال الأفلام والمسلسلات الذين لا يترددون في احتساء التدخين بنهم وشراسة وربط ذلك بالقدرة على التفكير السليم ، والوصول إلى حل المشكلات والخروج من المآزق،لا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة.

ناهيك على ارتباط هذه الآفة بكبار الساسة ورجال الأعمال فكل الجلسات لا يمكن أن تعقد بدونها، ولا يخفى مدى خطر ذلك على المشاهد غير المحصّن،خصوصا الأطفال بحيث يصور لهم بأن تعاطي التدخين جزء لا يتجزّأ من كمال الرجولة.

ففي دراسة حديثة أجرتها وزارة التربية التعليم العالي في رام الله بفلسطين على عينة من طلبة المدارس الفلسطينية ، وفي النقطة الخامسة المتعلقة بوسائل الإعلام والدعاية لمنتجات التبغ،صرّح 87.3% من الطلبة بأنهم شاهدوا في التليفزيون ممثلين يدخنون خلال الأيام الثلاثين من بدء المسح،و70.7% من الطلبة شاهدوا دعاية وإعلانات لترويج التدخين في الشوارع والأماكن العامة،و66% شاهد دعايات لترويج التدخين في الجرائد والإعلانات خلال الثلاثين يوما الماضية[33].

والدراسة السابقة أشارت أيضا إلى ما تلعبه الجرائد والإعلانات من دور كبير في الترويج لهذه الآفة وللشركات المنتجة لها وبأساليب جذابة تغري الشباب خصوصا من فئة المراهقين غير المحصنين فكريا وأخلاقيا الذين يعشقون المغامرة في كل شيء.

ففي مصر التي تعد واحدة من أكبر دول العالم العربي استهلاكا للتبغ حيث يصل معدل الذكور المدخنين إلى 44% ،أما عند النساء ففي حدود 5% ، تعمل شركات التدخين هناك على مداعبة أحلام المواطنين العاديين ودفعهم لإدمان التدخين، وتستخدم في الترويج لمنتوجها، الجرائد والإعلانات في الشوارع والساحات العامة، فتجد عنوانا أحمر فاقع اللون باسم " غيّر الإيقاع" لراعي البقر المذكور الذي يستمتع بتدخين السيجارة بجانب منظر طبيعي هادىء، وتقرأ عليه جرّب هذا النوع، وابعث خمس علب من سجائر "عادي أو خفيف" لتكسب رحلة خيالية لمدة عشرة أيام، ولا بأس أن تقف امرأة جميلة عن بُعد.

وأصبحت هذه الشركات تظهر الشيشة (أو النرجيلة) كموضة جديدة للمرأة المتحضرة كما تذكر مجلة "reports".ويكتب على إعلان الشيشة كلمات مثل "بطعم الفاكهة النعناع التفاح"[34].

وقريب منها آفة الخمر . وإن بدرجة أقل . فكثير من المشاهد خصوصا في بيوت الأغنياء والأرستقراطيين،وكذا المشاهد التي تصور الجلسات الحميمية بين الأصدقاء والأحباب في النوادي والمقاهي مرتبطة بقنينة الخمر،هذا في كثير المنتجات الإعلامية العربية خصوصا السينما المصرية، ولا أتحدّث عمّا يعرض في القنوات الغربية على اعتبار كون ذلك عاديا عندهم.

وقد يعتقد البعض أن وسائل الإعلام العربية مهما بلغت حدا في الرداءة، فلا يمكن أن تروّج لآفة المخدرات،لكننا نقول بأن الرداءة وصلت حدا لا تعترف فيه بالحدود.

ثالثا: جرائم الشرف (الزنا)

والترويج للفاحشة تشترك فيه جميع وسائل الإعلام تقريبا، التليفزيون والفيديو،والإنترنيت والصحف والكتب والصور...الخ.

. ففيما يخص التليفزيون فقد صارت هناك قنوات فضائية متخصصة في الجنس تبث على مدار الساعة، كما أن هناك عديد الأفلام والمسلسلات التي تحوي لقطات جنسية مباشرة،أما مقدمات الزنا فأكثر من أن تعد وأن تحصى وللقنوات العربية في ذلك نصيب .

يقول الدكتور عزت حجاب:(ومن الأمور الأخرى التي يجب ملاحظتها،أن وسائل الإعلام العربية المختلفة قد استغلت المرأة باعتبارها موضوعا للجنس.فالعديد من المسلسلات التلفزيونية خاصة المصرية تزخر

بمشاهد الإثارة والجنس مما يسيء إلى سمعة المرأة المصرية.كما كشفت دراسة أخرى متعلقة بتحليل مضمون بعض البرامج الإذاعية،أن مضمون هذه البرامج قد صور أن العلاقة بين المرأة والرجل على أنها علاقة جسدية وأن المرأة موضوع الجنس، فهي تهتم بجمالها وجسدها حيث أن هذا مرغوب من الرجل) [35].

وأخطر ما في الأمر أن يتوجّه نصيب وافر من هذا المنتوج الساقط إلى الأطفال،فقد أحصى أحد الباحثين مجموعة الأفلام التي تعرض على الأطفال عالميا فوجد أن 29.6% تتناول موضوعات جنسية، وأن 27.4% تعالج الجريمة،كما تدور 15% منها حول الحب بمعناه الشهواني العصري المكشوف،ووجد "بلوسر" أن الأفلام التجارية التي تنتشر في العالم تثير الرغبة الجنسية في معظم موضوعاتها ، وتعلم المراهقين والمراهقات من الفتيات العادات الضارة وفنون التقبيل والحب والمغازلة والإثارة الجنسية والتدخين واحتساء الخمر[36].

إن الغرب ينشر ثقافة إباحية جعلت كل شيء مكشوفا أمام الأطفال، وصار الفتيان والفتيات يفقدون براءة الطفولة في وقت مبكر جدا،مما جعلهم يعيشون تحت وطأة مشاعر جنسية ليسوا مؤهلين للتعامل معها والسيطرة عليها[37].

ولقد سقط في عالمنا العربي والإسلامي من جرّاء ذلك كثير من شبابنا في وحل الرذيلة يقول الأستاذ حسين نعمان مدير نيابة أمن القاهرة:(أن نسبة طالبات الثانوية المتهمات في جرائم الآداب في ارتفاع ،وهذا مرجعه في الأصل كما أسفرت التحقيقات إلى تفكك أسر هؤلاء الطالبات وانشغال رب الأسرة وانصرافه عن رعاية بناته. ويضاف إلى ذلك تأثرهن بما يشاهدن من التليفزيون من مشاهد الحب والغرام ومحاولة تقليده وتقمّصه بشكل طبيعي، كما يحدث في أفلام وتمثيليات التليفزيون في أحداث روايته) [38].

وما حدث ويحدث في مصر يمكن أن يعمّم على معظم دول العالمين العربي والإسلامي.

ـ وأما الفيديو فخطره أشد وذلك لأن خطورته تكمن في حرية الفرد في اختيار المادة التي يريد مشاهدتها ،خصوصا مع عدم قدرة الرقابة أو الإجراءات الرسمية على القيام بدورها في تحديد نوعيات المواد التي تعرض ،وقد يتم بتواطؤ منها في بعض الأحيان وفي بعض البلاد،بغرض الإلهاء والإشغال عن القضايا الأساسية للمواطن وكذا لإطفاء جذوة التديّن التي تزداد بين شباب الأمة يوما بعد يوم.

فلقد أجريت إحدى الأبحاث الميدانية التي أستُطلِع فيها رأي المبحوثين فيما يفضلون من أفلام . أي على الفيديو . فتبيّن أن هناك عددا كبيرا من جميع الأعمار والمستويات المادية والمهنية والثقافية يهتمون بأفلام الجنس .فقد اتضح أن 76.6%من الذكور يشاهدون أفلام الجنس مقابل 51.1%من الإناث[39].

. وإذا أضفنا إلى ذلك الفيديو كليب الغنائية الفاضحة وكذا الإعلانات التي تبرز فيها المرأة وكذا الرجل بوضعيات أو ألبسة جد مغرية وكذا ما يعرض من حصص لعرض الأزياء وكذا مسابقات الجمال والتي صار التعرّي فيها شرطا أساسيا، فإننا نصل إلى نتيجة مفادها أن الأمر مخطط له لإغراق المجتمع في وحل الرذيلة.

والأخطر من كل ذلك أن تُسمى الأمور بغير مسمياتها،وتُزيّف الحقائق، بتصوير الممنوع مشروعا،والخطأ صوابا والحرام حلالا،ودليلنا على ذلك أن مفهوم"البطولة" صار يطرح على أنه نوع من المغامرات الجنسية أو العاطفية، وتصوير الخيانات الزوجية على أنها عواطف مشروعة، واستخدام كلمة "الحب" كبديل عن كلمة "الزنا" حتى صار الكثير منا يتقبل رؤية مشاهد احتضان رجل لفتاة شابة بحجة أنه يمثل دور أبيها أو رجل وامرأة في سرير واحد بحجة أنه يمثل دور زوجها...الخ.

. وأما الأنترنيت فلا يخفى ما تبثه من صور خلاعية وأفلام إباحية ،حيث تتضمن الشبكة حوالي مليون صورة أو رواية لها علاقة مباشرة بالجنس، كما توفر معلومات دقيقة حول بيوت الدعارة في العديد من دول العالم، هذا إضافة إلى أمور تتعلق بالانتحار وبما يشجّع على العنف وارتكاب الجرائم[40].

ومن المخاطر التي تحوط شبكة الإنترنت أنه توجد مواقع على هذه الشبكة للحب والزواج والعلاقات غير الشرعية، وبمجرد دخول المشترك إلى هذه المواقع عليه أن يحدد بالضبط شكل العلاقة التي يريدها، هل هي صداقة أم علاقة حميمة أم مجرد الحصول على بعض المتعة.ومن أشهر هذه المواقع وأكثرها انتشارا الموقع الأمريكي المعروف باسم"العزاب الأمريكيون". amerikan singles com ، والخدمة فيه ليست مقصورة على الأمريكيين، بل كل العالم،على اعتبار أن الولايات المتحدة هي الحاكم الفعلي للنظام العالمي الجديد.

ولكي يتم الاستفادة من العروض التي يقدمها هذا الموقع، فعلى المرء أن يدون بياناته الشخصية والمواصفات التي يريدها في شريكته أو شريكها، وذلك من خلال الإجابة على عشرات الأسئلة التي تكشف . رغم بساطتها . عن أدق التفصيلات والسمات الشخصية.

وقد دخل الشباب العربي . للأسف . سواء الرجال الذين يبحثون عن سيدات أو العكس،إلى هذا الموقع حيث توجد صفحات مخصصة لبعض الدول العربية (ومنها الجزائر للأسف الشديد) التي تتمتع بانتشار جماهيري لشبكة الإنترنيت[41].

وبالعودة إلى الدراسة التي أشرنا إليها سلفا حول استعمال الانترنت في الجزائر، كشفت أن المواقع الإباحية أصبحت مزارا طبيعيا لكثير من الشباب خصوصا من فئة المراهقين حيث أكد 48.79% الإدمان على زيارتها منهم 6.58% من الإناث وتقدر أعلى نسبة لدى الشباب في الفئة العمرية ما بين 18و25 سنة[42].

. أما الصحف فدورها في ذلك لا يستهان به خصوصا مع انتشار ما يسمى بالصحافة الصفراء في عالمنا العربي والتي تتستر وراء ما يسمى بالصحف الفنية التي تتتبع أحوال وأخبار الفنانين والفنانات والممثلين والممثلات،فقد تخصصت في نشر صور جد فاضحة لنساء شبه عاريات وعلى صدر صفحاتها الأولى وبألوان جذّابة،و سرد حكايات عن مغامرات جنسية بكلمات تخدش الحياء والذوق العام وكلما زادت جرأة الصحيفة كلما عظم دخلها، فصارت سياسة متبعة لكثير من هذه الصحف.

وقد يظن البعض أن من يقف وراء هذا الابتذال، هم فقط مجموعة من المراهقين الذين لاحظ لهم من الثقافة والتعليم.ولكن الواقع يقول بأن هناك عددا من الأقلام الشهيرة في عالم الثقافة تدفع وبقوة نحو هذا الاتجاه،

فهذا إحسان عبد القدوس يقول وبكل جرأة في إحدى مقالاته:(إنني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها، وتذهب إلى أبيها وتقول:هذا صديقي) [43].

وكتب أنيس منصور في مقال بجريدة "أخبار اليوم"(أنه زار إحدى الجامعات الألمانية، ورأى هناك الأولاد والبنات أزواجا أزواجا مستلقين على الحشائش في فناء الجامعة،قال:فقلت في نفسي:متى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط لكي تراه عيون أهل الصعيد وتتعود عليه) [44].

وكتب الدكتور مصطفى الديواني رسالة في جريدة الأهرام تساءل فيها مستنكرا:("...لماذا لا نراجع أنفسنا وقوانيننا في حدود التطور العالمي الخلقي؟ فللشباب ثورته، ولا مفر من مهادنته بطرق محتشمة حتى يزهد في المرأة عندما يراها في متناول يده) [45].

ويعلق فضيلة الشيخ محمد الغزالي . رحمه الله . على ذلك بالقول: والدكتور يقول ذلك بعد أن يعلن رضاه عن الحال التي وصل إليها الغرب من ناحية العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة فيعرض علينا المشاهد التي راقته:(..نظرت من نافذتي وأنا أكتب هذا فرأيت أجمل السويسريات يمشين في الشوارع دون أن يلتفت إليهن شاب أو يعاكسهن فتى رقيع ،وتذكرت كيف ذهبت أمس إلى مسرح "باتكلان" . الذي تقصده أرقى طبقات جنيف . وكيف صدمنا نحن المصريين . في بداية الاستعراض ،إذ وجدنا الراقصات عرايا تماما إلا من ورقة توت صغيرة،ثم لم نلبث أن اعتدنا العري والجمال بعد الدقائق الخمس وأصبحنا ننظر إلى الاستعراض،على أنه قطعة من روائع الفن العالمي .

ثم تذكرت باريس وكيف أبيحت فيها الدعارة سرا وعلنا، وإيطاليا وكيف نظمت الدعارة بشكل محتشم غامض،وإنجلترا العجوز وكيف أباحت الحرية الشخصية في حدود القبلات والمقابلات في الحدائق العامة.

تذكرت هذا كله ثم قلت في نفسي: هل حالت الصراحة الجنسية دون تقدم هذه الأمم؟) [46].

ويعاود الشيخ محمد الغزالي التعليق مرة أخرى بالقول:(كاتب الرسالة مثل صادق للجيل الذي يرمق حضارة الغرب بإعجاب وإعزاز،ويتقبل تقاليده في نواح شتى،لا في الناحية الجنسية وحدها،تقبل الفاقه المقتنع،أو تقبل التابع المسحور) [47].

ـ والقصة المكتوبة هي لون من ألوان الأدب ذات التأثير الفعال لكن كثيرا من الكتاب المستلبين حضاريا اتجهوا بها وجهة خاطئة حتى صارت كثير من القصص تخاطب الغريزة بدل العقول، ولا يخفى خطر ذلك على المراهقين خصوصا من الفتيات اللاتي يملن كثيرا إلى هذا اللون من القصص.

رابعا: آفة التقليد والمحاكاة

تبعا للقاعدة التي أكدها عالم الاجتماع ابن خلدون"أن المغلوب مولع بتقليد الغالب".فإن كثيرا من فئات مجتمعنا خصوصا الأطفال والشباب، يجد في النموذج الغربي مثلا يحتذى بحكم أنهم هم أصحاب القوة والنفوذ والتكنولوجيا عالميا فضلا على تفننهم في صناعة المؤثرات الفنية التي تجعل المشاهد أسيرا لما يرى .(وتوضح الدراسات أن المشاهدين يتقمصون الشخصيات التليفزيونية ، وأن الأطفال يكررون السلوك الذي يشاهدونه على

الشاشة،حيث ثبت نفسيا، أن التليفزيون يؤثر في مفهوم الأطفال عن أمور الحياة وقيمها كما يؤثر في مشاعرهم وأحاسيسهم) [48].

وكشفت دراسة ميدانية على عينة تتكون من 1005 من تلاميذ المدرسة المتوسطة بالكويت، تتراوح أعمارهم بين 10و14 سنة،أن67% من الأطفال يميلون إلى تقليد البطل الذي يشاهدونه في الأفلام والمسلسلات التلفزيونية،مقابل 32.8% منهم لا يميلون إلى تقليده، وكشفت نتائج الدراسة وجود تفاوت بين الذكور والإناث في درجة الميل إلى التقليد،ففي حين بلغت نسبة الذكور 75% بلغت نسبة الإناث 59.8%.أما عن رغبة الطفل في أن يكون مثل البطل، فقد أجاب 75.7% من الأطفال بنعم عن سؤال في هذا المضمار وأجاب 24% منهم بلا، ويتضح أن الأطفال في هذه السن لا يميلون إلى تقليد البطل فقط،وإنما يرغبون أيضا في أن يتصفوا بالصفات التي تتميز بها شخصية البطل، مما يعكس قوة تأثير التلفزيون على شخصية الطفل التي لا زالت تمر في هذه السن بدور النمو والتكوين، ويضح أيضا أن ميل الذكور إلى أن يكونوا مثل البطل أوضح من ميل الإناث،حيث بلغت نسبة الأطفال الذكور الذين أجابوا بنعم 83.3% منهم،مقابل 65% من الإناث، أما الذين أجابوا بلا من الذكور فكانت نسبتهم 12.7% ومن الإناث 34.5%[49].

ويعلق الدكتور عبد الله بوجلال على هذه النسب بالقول:(وتظهر هذه الإجابات أن الأطفال الذكور أكثر تأثرا بالبرامج والمسلسلات التلفزيونية من الإناث في هذه السن وربما يرجع ذلك إلى الأدوار المسندة لأبطال الأفلام والبرامج والمسلسلات التلفزيونية والتي في معظمها تسند إلى الرجال، إضافة إلى ما يبدو عليه أولئك الأبطال من أشكال في الشجاعة وما يحققونه من نجاح مدهش في معظم تلك الأفلام والمسلسلات خاصة الغربية منها. وفي نفس الوقت فإن الأدوار المسندة إلى المرأة . وهي النموذج المفترض الذي تقتدي به البنت . تظهرها في معظم الأفلام والمسلسلات في مواقف غير مقبولة، فهي في الغالب مستسلمة للرجل وتنفذ له مآربه...الخ من الصفات التي تتصف بها بطلات الأفلام والمسلسلات، سواء أكانت عربية أو أجنبية) [50].

ويمكن أن نلخص عددا من صور التقليد والمحاكاة والتي استشرت في مجتمعاتنا العربية والإسلامية والتي لم تكن معهودة ولا معروفة من ذي قبل.

ـ ألبسة فتياتنا اليوم وطريقة تزينهن انعكاس مباشر لتأثرهن بنجمات الأفلام والمسلسلات والفيديو كليبات...الخ.

. السعي إلى نسج العلاقات بين الجنسين وترجمتها إلى مواعيد ولقاءات وملاطفات ومحاولة إقناع النفس بأن ذلك من باب التحرر والتحضر.

. تقليد كثير من شبابنا لنجوم الفن والسينما والرياضة والغناء في طريقة اللباس وتسريحة الشعر ...الخ.

ـ حفظ الأطفال وبسرعة فائقة لأغاني الإعلانات والرسوم المتحركة،بغض النظر عن مضمونها وتقليد أبطالها حركة وصوتا.

ـ تقليد بعض الأطفال لمشاهد غاية في الخيال والخطورة، وحصول الضرر في أغلب الأحيان، كمشاهد الطيران في الهواء مثلا يقول يوسف غراب:(لقد حدث في إحدى الدول العربية إذاعة مرئية لمسلسل للأطفال

يسمى"فرافيرو" وهو شبيه بـ"قرانديزار وسوبرمان". وفرافيرو هذا هو أحد الأشكال المبتكرة لـ "والت ديزني"، أو التي تنتمي إلى أشكاله، وهو يطير من فوق المباني ومن فوق الأماكن العالية ، ويصيح في كل مرة أنه قادم وحدث أن أراد أحد الأطفال تقليده فخرج إلى سطح المبنى الشاهق الذي يسكن به و ألقى بنفسه من علو ستة طوابق متخيلا بأن الهواء سيحمله كما حمل فرافيرو) [51] .

هذه عدد من الآفات التي أردنا أن نقف عندها نظرا للأثر البالغ لوسائل الإعلام في انتشارها، ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر، وإلا فإن الآفات التي تتسبب هذه الوسائل في نشرها وتشجيعها إن بقصد أو بغير قصد، أكثر مما ذكرنا ومن ذلك السرقة والاحتيال والاختلاس والرشوة والتجسس والدجل والشعوذة....الخ.

وحسبنا أن ما سلطنا عليه الضوء بالمعالجة والتحليل وتقديم الأرقام والإحصاءات، يقدم صورة حية فيما يمكن أن تحدثه وسائل الإعلام من آثار مدمرة على البنية الاجتماعية إن نحن لم نحكم السيطرة على نوعية المنتوج الإعلامي، الذي يتلاءم مع أصالتنا وثقافتنا حتى نحافظ على الأجيال من الضياع والتيه.

الخاتمة

إن هذه الإحصاءات والأرقام التي قدمناها تدلل بما لا يدع مجالا للشك أن الآفات الاجتماعية قد اتخذت منحنيات ومنعرجات خطيرة تهدد المجتمع في أمنه واستقراره بل وفي وجوده أصلا ووسائل الإعلام وإن لم تكن هي السبب الوحيد في وجود هذه الآفات،ولكنها صارت اليوم السبب الأكبر في نشرها وتشجيعها.

وليس الحل كما يعتقد البعض في الهروب من الواقع،أو تسويق فتاوى حرمة اقتناء أجهزة التلفزيون أو الفيديو أو مشاهدة الفضائيات،ولا في تحريم التعاطي مع شبكة الإنترنيت أو عدم جواز التعامل مع وسائل الإعلام عموما خوفا على المنظومة القيمية والأخلاقية للمجتمع،بل الحل يكمن في تطوير وسائلنا الدفاعية باستخدام نفس الوسائل واستثمارها لخدمة أهدافنا ولتحصين أجيالنا بل وللتعريف برسالتنا الحضارية للعالمين.

يقول الخبير الإعلامي حمدي قنديل:(إن الغزو الثقافي قادم لا محالة ولا يمكن صده بسلاح التشويش أو منع استيراد الهوائيات الفضائية...والحل هو أن نطور إنتاجنا التليفزيوني ونجعله أكثر تنوع وجاذبية، ويلبي احتياجات كل الأذواق والآراء وأن يصل الإرسال إلى كل بقعة نائية أو معزولة) [52].

مع ملاحظة أن هذه الأذواق التي ينبغي أن تلبى مقيدة بضوابط أخلاقية، من الضروري مراعاتها لخصوصية مجتمعاتنا الإسلامية. وللحد من التأثير السلبي لهذه الوسائل نقدم عددا من التوصيات والمقترحات .

1. تدعيم المنتوج الوطني ببرامج هادفة نفية تراعي جميع الطبقات والمستويات، وتلبي شتى الأذواق مع ضرورة توظيف آخر التقنيات التكنولوجية لتكون قادرة على المنافسة والتفوق.
2. تدعيم تبادل البرامج الهادفة فيما بين الدول الإسلامية مع ضرورة تكامل الخبرات والإمكانات.

3. الاستفادة من منتوج الأمم والحضارات الأخرى وانتقاء المناسب منها.
4. تشجيع أصحاب رؤوس الأموال للاستثمار في المجال الإعلامي الرسالي الهادف،بانشاء قنوات تلفزيونية وإذاعية ومواقع وشبكات إلكترونية،أو إصدار صحف يومية أو أسبوعية، لتشكل بديلا عن الإسفاف المعروض حاليا، فالموجود حاليا من هذه القنوات والصحف الجادة على الرغم من أنه ازداد انتشارا وتوسعا،إلا أنه لم يرق بعد إلى مستوى الطموح الذي ننشده.
5. تكثيف البرامج التي تعمل على تحصين الأجيال والتي تسلط الضوء على هذه الآفات بالتحليل والمعالجة.
6. تعزيز وتفعيل لجان الرقابة عبر جميع وسائل الإعلام بما فيها نوادي الإنترنيت ومحلات ألعاب الفيديو للحد من انتشار البرامج الهدامة والموضوعات العابثة والصور الفاضحة ومحاسبة العابثين بقيم المجتمع بإجراءات رادعة.
7. تأسيس نوادي تهتم بالنشاطات العلمية و الرياضية والترفيهية المدروسة والهادفة للشباب وتعميمها في كل القرى و المداشر والأحياء.
8. إصدار نشرات تقدم معلومات لأفراد المجتمع توزع مجانا على الأصناف المثقفة وطلاب الجامعات وتلامذة المدارس المتوسطة والثانوية، وتتناول هذه النشرات بنوع من التفصيل مشكلة الجريمة والإجراءات التي يمكن اتخاذها لمنعها أو التقليل من انتشارها[53].

الهوامش

1 – الطفل بين منافع التليفزيون ومضاره،د/محمد عبد العليم مرسى مكتبة العبيكان الرياض ط1418/1997،ص77 نقلا عن مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، عمر عبيد حسنة كتاب الأمة رقم28 ص8-9

2 – المرجع نفسه،ص88 نقلا عن نفس المرجع .

3 – بث وافد على شاشات التليفزيون،د: انشراح الشال ط 1994 دار الفكر العربي ص.210

4 . أثر وسائل الإعلام على الطفل،عبد الفتاح أبو المعال ط1 دار الشروق الأردن ص13-15بتصرف واختصار .

5 . التلفزيون بين الهدم والبناء ص7 نقلا عن أحد التقارير العلمية التي نشرتها "هيئة اليونسكو".

6 . أثر وسائل الإعلام على الطفل . مرجع سابق . ص16-24 بتصرف واختصار .

7 – دور وسائل الاتصال في رفع مستوى الانحراف والجريمة والوقاية منهما د:عمر عسوس مقال منشور في المجلة الجزائرية للاتصال العدد15 (جانفي . جوان) 1997 ص15 .

8 – الأطفال والتليفزيون د:عبد الله بوجلال مقال منشور في المجلة الجزائرية للاتصال العدد13 (جانفي . جوان) ص78. نقلا عن أثر التليفزيون على الأطفال إحسان محمد حسن مجلة الإذاعات العربيةالعدد57 يوليو 1974.

9- الطفل بين منافع التليفزيون ومضاره، مرجع سابق ص126-127 نقلا عن " أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام "،منى يكن مؤسسة الرسالة بيروت ص34-35.

10. المرجع نفسه ص126.

11. بث وافد،مرجع سابق ص211

12. المرجع نفسه ص211

13. الاتصال و الرأي العام ص278 وقد طالب الرئيس الأمريكي كلينتون بظهور مستطيل أبيض على الشاشة قبل بث أي برنامج به مشاهد إثارة حتى ينتبه الآباء ويمنعوا أطفالهم من مشاهدته. المرجع نفسه، نقلا عن جريدة الشبيبة العمانية 1993/7/9 .

14. التليفزيون بين الهدم والبناء ص92

15 . الاتصال والرأي العام، ص.265

16- التليفزيون بين الهدم والبناء، ص 144

17- دور وسائل الاتصال . مقال . مرجع سابق ص15

18- الأطفال والتليفزيون . مقال . مرجع سابق ص86 نقلاعن جريدة السلام الصادرة في29فيفري1992 ص.12

19- المرجع نفسه ص87 نقلا عن جريدة الخبر الصادرة في03 أوت 1993 ص9

20- التليفزيون بين الهدم والبناء ص191 نقلا عن مقال بمجلة العربي عددنوفمبر1989 حول البرامج الأجنبية في التلفزة العربية

21-الأطفال والتليفزيون . مقال . مرجع سابق ص.84

22 –تأثير الرسوم المتحركة المستوردة على الطفل القطري ،لولوة راشد . مقال . منشور في مجلة الطفولة والتنمية العدد:7 مجلد2،خريف 2002 ص63.وهذه الدراسة مستفادة من مقال بعنوان:أثر برامج التليفزيون في السلوك العدواني عند الأطفال،العبد الله فواز، منشور في"التربية" مجلة اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ،العدد:130،مارس 1997م .

23 –المرجع نفسه ص.65

24– المرجع نفسه ص69 ،ودراسة الباحثة منال أبو الحسن المشار إليها أعلاه والتي استند إليها الأستاذ لولوة راشد والذي أخذنا من بحثه المشار إليه آنفا هذه المعلومات ،طبعتها دار النشر للجامعات بمصر ط1 .

25– المرجع نفسه ص69-.70

26 – الدراسة الميدانية هذه هي عبارة عن محتوى رسالته في الدكتوراه والتي كان عنوانها "أثر البث التليفزيوني الفضائي المباشر على الشباب الجزائري . دراسة تحليلية ميدانية . " والتي نوقشت في السنة الجامعية 2003/2002 بقسم الدعوة والإعلام بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة .

27 – المرجع نفسه ص209 .

28- الاتصال و الرأي العام ص262 نقلا عن التليفزيون وأثره في حياة أطفالنا:ولبر شرام.جاك ليل أدوين باركر ترجمة:زكريا سيد حسن. وانظر أيضا بث وافد . مرجع سابق . ص.211

29- دور وسائل الاتصال،مرجع سابق ص.17

30 – مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال،د حمدي حسن ط1987 دار الفكر العربي القاهرة ص154-.155

31 – الاتصال والرأي العام . مرجع سابق . ص.273

32 – جريدة الخبر اليومية الصادرة بتاريخ 16ديسمبر 2006 الموافق م لـ 25 ذي القعدة 1427هـ ص12 في ركن أحوال الناس، والدراسة الميدانية أجريت بولاية المسيلة شملت عينة تقدر ب 455 شخص منهم 291ذكرو 164أنثى.

33– www.pnic.gov.ps

34 – www.islamonline.net

35- وسائل الإعلام وأثرها في المجتمع العربي المعاصر د:عزت حجاب . مقال . منشور في المجلة الجزائرية للاتصال العدد9 ربيع 1992م ،ص.33

36 – الاتصال والرأي العام ص278 نقلا عن "تلوث بيئة الطفل تليفزيونيا" لإبراهيم إمام .مقال لمجلة الفن الإذاعي العدد:81أكتوبر 1978م.

37 – بناء الأجيال، د:عبد الكريم بكار . سلسلة تصدر عن مجلة البيان بالرياض . ط1 1423هـ/2002م ص181

38 – التليفزيون بين الهدم والبناء –مرجع سابق- ص.114

39 – المرجع نفسه ص200.أما البحث الميداني الذي أشار إليه صاحب الكتاب فهو "دراسة عن الفيديو والتحولات الثقافية والقيمية في المجتمع"د:نوال عمر.

40 – العولمة ومستقبل البشرية،أيمن نور الدين عمر ط1 .1421هـ/2000م دار لبنان للطباعة والنشر ص.93

41– تكنولوجيا الاتصال المخاطر والتأثيرات الاجتماعية،د: شريف درويش لبان ط1:شوال1420 هـ/يناير2000م الدار المصرية اللبنانية القاهرة ص123-124 بشيء من الاختصار.

42 – جريدة الخبر . مرجع سابق . ص.12

43 – التليفزيون بين الهدم والبناء مرجع سابق.

44 – المرجع نفسه .

45 – من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث محمد الغزالي دار الشهاب باتنة ص.158

46 – نفس المرجع السابق والصفحة.

47 – المرجع نفسه ص.159

48 – التليفزيون بين الهدم والبناء ص.14

49– الأطفال والتلفزيون . مقال . مرجع سابق ص73 .74 نقلا عن التلفيزيون والطفل الإعلامي بالكويت مجلة الإذاعة العربية العدد63 ديسمبر 1974.

50 – المرجع نفسه ص.74

51 – الطفل بين منافع التليفزيون ومضاره، مرجع سابق ص131 نقلا عن"التأثير السلبي غير الموجه على الطفل العربي "يوسف غراب مجلة القافلة العدد 6 المجلد 38 جمادى الآخرة،1410/ديسمبر 1989-يناير .1990

52 – التلفزيون بين الهدم والبناء ص.204

53 – التوصية الثامنة من اقتراح الدكتور عمر عسوس في مقاله "دور وسائل الإعلام في رفع مستوى الانحراف" . مرجع سابق . المجلة الجزائرية للاتصال ص25.